الفصل الرابع

الإيمانُ بالكتب الإلهية السماوية

الفصل الرابع

الإيمانُ بالكتب الإلهية السماوية

أنزل الله جلَّ جلاله كتباً إلهية لسعادة البشر، نزلت على أكابر الرسل، كما أنزل صحفاً على بعض الأنبياء صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين.

ومن شروط صحة الإيمان أن يعتقد الإنسان بالكتب السماوية، التي أنزلها الله على بعض الرسل، وأن يؤمن بأن هناك صحفاً أنزلت على الأنبياء صلواتُ الله وسلامُه عليهم، قال الله عزّ وجلّ:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ... ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فمن شروط الإيمان الصحيح، أن يؤمن الإنسان بالكتب السَّماويَّة، المنزَّلة من عند الله تعالى، وهي: (الزبورُ، والتوراةُ، والإنجيلُ، والقرآنُ) فالزبورُ أنزله اللّه على (داود) عليه الصلاةُ والسلام ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥].

والتوراةُ أنزلها اللّه تعالى على (موسى بن عمران) عليه الصلاةُ والسلام، قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾ [المائدة: ٤٤].

والإنجيل أنزله اللّه تعالى على (عيسى ابن مريم) عليه الصلاة والسلام قال جلَّ ثناؤه: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦].

والقرآن أنزله اللّه على خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ الٓرٰ ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١].

وقد جمع اللّه تقدست أسماؤه هذه الكتب السماوية جميعها، في آية واحد مجملة في قوله سبحانه: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ

وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران: ٣، ٤] والفرقانُ هو: الكتب الإلٰهيةُ الفارقة بين الحقّ والباطل، والكفر والإيمان، فجمع بين هذه الكتب كلِّها: (القرآن، والتورة، والإنجيل، والزبور) في هذه الآية الكريمة.

وأمّا الصحف فكثيرة، فما من نبي من الأنبياء، إلّا أنزل اللّٰه عليه بعض هذه الصحف، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩] وقال سبحانه: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦ ـ ٣٨].

أي ألم يُخبر هذا المُنكِر لآياتنا، بما جاء في الكتب الإلٰهية، المنزّلة على الرسل الكرام، وبما في الصحف المجيدة، المُنزّلة على الأنبياء والمرسلين، أنه لا تحمل نفسٌ ذنب غيرها؟ ولا تُعاقب بجرم فَعَله أحد غيرها؟

الكُتُب السماويةُ رسائلُ من ربّ العزّة والجلال

هذه الكتب والصحف المنزلة على الأنبياء والمرسلين، هي (رسائل نورانية) من ربّ العزة والجلال لهداية البشر، لإخراجهم من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الهداية والإيمان، وما أنزل اللّٰه هذه التشريعات والقوانين إلّا لسعادة الناس، فمنذ أن أهبط اللّٰه آدم وحوّاء إلى الأرض، بسبب المخالفة والأكل من الشجرة، أوصاهما بهذه الوصية، وعهد إليهما بهذا العهد الإلٰهي المبارك:

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

أي قال اللّٰه لآدم وحواء وذريتهما، إن جاءكم من جهتي (الهدى الإلٰهيُ) والوحيُ الرباني، وأنزلت عليكم كُتُبي، وأرسلت إليكم رسلي، فمن تمسّك بهدايتي فلا يضلُّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ومن أعرض عن الهداية والإيمان، ولم يستنر قلبه بأنوار الرحمن، فإنّ له في الدنيا المعيشة القاسية التعيسة، التي لا يشعر فيها بطعم السعادة والراحة.

والمعيشةُ الضَّنكُ: هي الحياةُ التعيسةُ، القاسية الشقيّةُ، التي لا راحة فيها ولا سعادة، ولا اطمئنان.!

قال ابن عباس: ضَمِنَ اللهُ عزَّ وجلَّ لمن قرأ القرآن، وعَمِلَ بما فيه، أن لا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية الكريمة: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[1].

أقول: لو أنَّ البشر رجعوا إلى رشدهم، واستمسكوا بهداية الرحمن، لما عاشوا هذه الحياة التعيسة الشقيَّة، التي يعيشونها اليوم، والتي أخبر عنها القرآن الكريم، وعبَّر عنها (بالمعيشة الضنك)!!

وثمَّةَ وجهٌ آخرَ للعذاب الدنيوي، والمعيشةِ الضَّنْك: وهو ما كشفته لنا (حضارة القرن العشرين) إذ يتسابق الشرق والغرب، للتسلح بأحدث الأسلحة الجهنميَّة الفتَّاكة، التي تفتقت عنها عبقريةُ (إبليس) فمن دبابات، ومدافع، وصواريخ، وطائرات حربية، وقنابل (ذرِّية) و(هيدروجينية) وغير ذلك من أنواع الدَّمار للبشرية!!

ينفقون الأموال، ويخسرون الرجال، وليس أدلَّ على صدق ما أخبر عنه القرآن، ما وقع في الحرب العالمية (الأولى) و(الثانية)، فقد ذهب في الحربين ما يزيد على أربعين مليوناً من البشر، وما ينتظرهم أدهى وأمرُّ، وهنا نعرف حقيقة المعيشة الضَّنك، وندرك أيضاً سرَّ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

❁ ❁ ❁

(١) تفسير فتح القدير للشوكاني ٣/ ٣٩٢.

التحريف في الكتب السماوية

لقد أرسل اللّه الرسل، وأنزل الكتب لهداية الناس، وإنقاذهم من ظلمات الكفر والضلال، ولكنَّ أهل الكتاب (اليهود) و(النصارى) حرَّفوا كلام اللّه، وتلاعبوا في نصوص (التوراة) و(الإنجيل)، تلاعباً فاحشاً فاضحاً، حتى لم يعد يُوثق بما في هذه الكتب السماوية، من كلام اللّهِ عزَّ وجلَّ، بسبب التحريف للكتب المقدّسة.

أمّا اليهود فقد غيّروا وبدّلوا آيات التوراة، عن خبثٍ وقصد، كما أخبر تعالى عنهم في قوله: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

غيّروا أحكام (التوراة) في كثير من المواضع، في أوصاف خاتم الأنبياء، لئلا يؤمن الناس به، مع أن علماءهم وأحبارهم يعرفون أنه رسول اللّه حقاً، لذكر أوصافه في التوراة والإنجيل، كما قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] حتى قال كبير أحبار اليهود (عبد اللّه بن سلام)[1]: واللّهِ لمعرفتي بمحمد، أشدُّ وأعظم من معرفتي بابني، فإن أوصافَ (محمد) موجودة عندنا في التوراة، كما نراها فيه، وابني لا أدري ما صنعت زوجتي في غيبتي؟ وهذا إقرارٌ منه بصدق رسالة محمد عليه الصلاةُ والسلام، وقد أسلم بعدُ، وفي إسلامه قصةٌ رائقة، تدلُّ على حسن إسلامه، انظرها في صحيح البخاري.

---

(١) أسلم (عبدُ اللّه بن سلام) ـ وهو من كبار أحبار اليهود ـ بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وذلك بعد أن رأى الرسولَ ﷺ، وتحقّق من صدق نبوّته، وفيه نزلت الآية الكريمة: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٤٣].

تحريف اليهود لحكم الرجم

وحرَّفوا حكم الزاني المحصن، فبدَّلوهُ من (الرجم) إلى (الجلد والتَّحميم) ـ وهو طليُ الوجه بالسواد ـ وقد حدثت في زمن النبي ﷺ هذه الحادثة.!

(رُوي أن شريفاً من أشراف يهود خيبر، زنى بامرأةٍ شريفة، وكانا مُحْصَنين ـ أي متزوجَيْن ـ فكرهوا رجمهما لشرفهما، فأرسلوا إلى يهود (بني قريظة)، أن أسألوا لنا محمداً عن حكم الزاني المحصن في شريعته ـ يعنون الإسلامَ ـ فإنْ قال لكم: حدُّه الجلدُ فاقبلوا حكمه، وإن قال لكم: حدُّه الرجم فلا تقبلوا.!

فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا يا محمد: أخبرْنا عن الزاني والزانية إذا كانا محصنَيْن، ما حدُّهما في كتابك؟ فقال: حدُّهما الرَّجمُ، فأبوا أن يأخذوا بحكمه، فقال لهم ﷺ: ما حكمهما في التوراة؟ قالوا: الجلدُ، ونسوِّد وجههما ونفضحها!!

فقال ﷺ لرجلٍ من علمائهم: أنشدك باللّه الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ قال: لا يا محمد، ولولا أنك نشدتني باللّه لم أخبرك!!

نجد حكمه في التوراة الرجم، ولكنه كَثُر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف ـ أي السيد ـ تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدَّ، فقلنا: تعالوا نجتمع على أمر واحدٍ، نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد!!

فقال ﷺ: (اللّهم اشهدْ، فإني أول من أحيا أمرك بعدما أماتوه، فأمر بهما فرُجما)[1].

إثبات القرآن لتحريف أهل الكتاب

وفي هذه الحادثة نزل قول اللّه تعالى في بيان تحريف اليهود للتوراة ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا

(١) الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٤١].

وكذلك حُرِّف الإنجيل من جهة أهل الكتاب (النصارى)، وفيهم يقول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۞ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧١، ١٧٢].

السيّدُ المسيح عليه السلام، دعاهم إلى توحيد اللّه، وقال لهم: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] والنصارى يقولون: اعبدوا الربّ (يسوع) أي عيسى!!

السيّدُ (المسيح) عليه السلام يأمرهم بالتوحيد، وهم يقولون بالتثليث أي الآلهة ثلاثة، وهذا تحريف لما في الإنجيل، الذي جاءهم به عيسى عليه السلام من عند اللّه، وفيهم يقول اللّه تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٧٣].

أفلا يكفي هذا البهتان افتراء على اللّه، وتحريفاً لكلام اللّه؟

كيف يدعوهم المسيحُ إلى عبادته، وأوّلُ كلمةٍ نطق بها وهو طفل رضيع في المهد ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾؟ [مريم: ٣٠] لم يقل لهم: جعلني إلهاً معه، ثم كيف يعتقدون بألوهيته، ثم يزعمون أنه صُلب، وكيف يُصلب الإله؟ أوَما كان باستطاعته الدفاع عن نفسه؟ وكيف بقي العالم أياماً بدون إله؟

أَعْبَادَ الْمَسِيحِ لَنَا سُؤَالٌ ... نَرُومُ جَوَابَهُ مِمَّنْ وَعَاهُ

إذا صُلِبَ الإلـهُ بِفِعْلِ عَبْدٍ يَهُودِيٌّ فَمَا هَذَا الإلَـهُ؟

تحريف النصارى للإنجيل

ندرك من هذا، أنَّ التحريف قد حصل فعلاً في (الإنجيل)، كما حصل في التوراة، وأن أهل الكتاب جميعاً (اليهود) و(النصارى) قد غيَّروا أحكام الله، وعبثوا في التوراة والإنجيل، بما لم ينزله الله في كتبه المقدَّسة.

لم يَنْجُ من التحريف إلَّا (القرآن العظيم) الذي أُنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، فهو الكتاب الوحيد، الذي نجا من التحريف، والتبديل، والتغيير، وبقي كما أُنزل على رسول الله ﷺ، لم تُبدَّل فيه كلمة، ولم يتغير منه حرف!

والسببُ في هذا: أن الله عزَّ وجلَّ، قد تكفَّل بحفظ كتابه، وصيانته من التحريف والتبديل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فلا يستطيع أحد من البشر، أن يتلاعب في نصوصه، ولا أن يبدِّل من آياته وحروفه، لأنه مصونٌ بكفالة الله عزَّ وجلَّ، وأيُّ ضمانةٍ أعظمُ من ضمانة الله؟ فهو محفوظ في الصدور، ومصون في السطور!!

أمَّا الكتب السماوية السابقة، فلم يضمن الله حفظها، ولم يتكفَّل بصيانتها عن التحريف، وإنما وَكَل أمر حفظها إلى علمائها، من الأحبار والرهبان، واسمعْ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ومعنى قوله سبحانه: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي طُلِبَ منهم أن يحفظوا كتاب الله، من التحريف والتبديل، والتلاعب فيه، أو تغيير أحكامه.

حفظُ اللهِ للقرآن الكريم من التحريف

أمَّا الحكمة من حفظ الله للقرآن، وضمان سلامته من التلاعب فيه، فهو أن القرآن العظيم، آخرُ الكتب السماوية، ومحمد ﷺ خاتمُ الأنبياء والمرسلين، لا نبيَّ بعده، فلو حُرِّف القرآنُ الكريمُ، فأيُّ كتاب سينزل ليبيِّن للناس المحرَّف فيه؟

وأيُّ رسولٍ سيأتي حتى يوضّح ما غُيّر وبُدّل في القرآن؟

لذلك اقتضت الحكمة الإلٰهية أن يحفظ اللّٰه جلّ وعلا كتابه بنفسه، ويصونه عن التحريف والتبديل.

أما الكتب السابقة، فإنه لمّا حُرّفت التوراةُ، بعث اللّٰه (عيسى بن مريم) ليردَّ الناس إلى الدين الحقّ، ويبيّن ما غُيّر وبُدّل من أحكام اللّٰه، كما قال سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥٠، ٥١].

وتمعّن قول اللّٰه جلّ جلاله مخاطباً اليهود والنصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦] أي يا معشر اليهود والنصارى، لقد جاءكم رسولنا محمد خاتم الأنبياء بالدّين الحقّ، يبيّن لكم الكثير ممّا كنتم تكتمونه في كتابكم، من صفته عليه السلام، الموجودة عندكم في (التوراة والإنجيل)، ومن (آية الرجم)، وقصة (أصحاب السبت)، الذين مسخوا إلى قردة وخنازير، ويعفو عن كثير، فلا يبيّنه، وإنما يبيّن لكم ما فيه حجة على نبوّته، وشهادة على صدقه، ولو ذَكَر كلّ شيء لفضحكم، وكشف باطلكم وضلالكم!!

وفي الآية دلالة ساطعة على صدق نبوّته ﷺ، لأنه كشف ما أخفوه في كتبهم، مع أنه عليه السلام (نبيٌّ أميٌّ) لا يعرف القراءة والكتابة، ولم يقرأ كتبهم حتى يعلم ما حرّفوه وبدّلوه.!

وصدق اللّٰه العظيم حيث يقول عن هؤلاء المتلاعبين في الكتب المقدسة ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾!! [البقرة: ٧٩].

❁❁❁

أنواعُ التحريف لكلام الله

التحريف لكلام الله تعالى قسمان:

١ ـ تحريفٌ لألفاظه ومبانيه.

٢ ـ تحريفٌ لمفاهيمه ومعانيه.

فالقسم الأول: تكفّل الله بحفظه، فلا يستطيع مخلوقٌ أن يحرّف القرآن بكلمةٍ، أو حرفٍ من حروفه، والدليل على ذلك، أنك لو ذهبتَ أقاصي الدنيا، من المشرق إلى المغرب، تجد جميع المصاحف هي نفسُها، لا يختلف فيها واحد عن آخر، بحرفٍ من الحروف، أو كلمةٍ من الكلمات.

أمّا الثاني: وهو التحريفُ لمعانيه، فهذا يفعله بعضُ الزائغين الضالين، وذلك بتأويل الآيات بالباطل، حسب أهوائهم، وبئسَ ما يفعلون!! ولكنَّ العلماء الربانيّين لهم بالمرصاد.

وصدق الله حيث يقول: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

القرآنُ الكريمُ عصمةٌ ونجاة للمؤمنين

لقد ذكّرَ القرآنُ العربَ في أكثرَ من موضع، بنعمة الكتاب المنزّل بلسانهم فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ [الأنبياء: ١٠] أي واللهِ لقد أنزلنا عليكم يا معشر العرب، كتاباً عظيماً جليلاً، نيّر البرهان ساطع البيان، فيه عزُّكم ومجدكم وشرفكم، أفلا تدركون هذه النعمة؟ وتعلمون أن هذا الكتاب المعجز، لا يمكن أن يأتي به رجل أميٌّ كمحمد، إنما هو تنزيل الرحمن الرحيم؟ أنزله الله بأفضل اللغات وأشرفها (لغةِ العرب) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] أي أنزلناه

عليكم بلغة العرب، لكي تعقلوا وتدركوا نعمة الله عليكم، بنزول هذا الكتاب المجيد، وتعملوا بمقتضى أحكامه وإرشاداته، فهو الكتاب الفارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وقال جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩] ولقد نطق رسول الله ﷺ بكلمة الفصل، فقال عليه الصلاةُ والسلام: (لقد تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به، لن تضلّوا بعدي أبداً: كتاب الله، وسُنّتي)[1].

روى الإمامُ البخاريُّ في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

(لا أحدَ أصبرُ على أذى سمعه من الله، إنهم يجعلون له وَلَداً، وهو يرزقهم ويعافيهم[2])!!

ونختم (بحث الوحدانية) بقول الله عزّ وجل في كتابه العزيز، حول تأليه النصارى للمسيح، منكراً عليهم ومتهدّداً.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]. أي من يدفع عن عيسى العذاب؟ لو أراد اللّهُ أن يهلكه، ويهلك أمّه وأهلَ الأرض جميعاً؟ هل هناك أحد يستطيع أن يمنع الله من إرادته ومشيئته؟ فعيسى عبدٌ لله مقهور، تحت سلطان الله وعظمته، ولو كان إلهاً كما يزعمون، لدفَع عن نفسه الفناة والموت!!

❁❁❁

(١) أخرجه مالك في الموطأ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.